قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

كوخ KOCH

رابع غزاة المكروب

يكتشف مكروب السل

بدت لكوخ طلائع النجاح ، فقضى أشهراً يؤكده بالعمل المتواصل ، والتفصيل الملّ ، والصبر النادر ، والدقة المتناهية ، والحذر البعيد . تجد كل ذلك منه إذا أنت قرأت تجاربه المتكررة العديدة فى تقريره التاريخى عن داء السل ، وقد ولّد من هذه البشلاّت ثلاثاً وأربعين أسرة مختلفة ، ولّدها على فالوذج السل فى أنابيبه المائلة من القردة المسلولة والفئران والخنازير الغينية العليلة

ولم يستطع توليدها إلا من حيوانات أصابها السل أو ماتت من جرّائه ، وقضى أشهراً يرعى تلك القَتَلة الصغار رعْىَ الحاضن ولدَها ، وكان أكبر همّه ألا يدخلها من أخلاط المكروبات الغالة شيء

قال كوخ : « والآن إذ ولّدت بَشِلاّتى هذه خالصة ، فلم يبق لى إلا أن أحقنها فى خنازير غينية سليمة ، بل فى كل نوع من حيوان سليم . فاذا أصابها السل علمتُ علم اليقين أن هذه البشلات ضرورة لازمة لاحداثه ، وأنها علته التى لا شبهة فيها »

وقام كالمجنون الذى يركب رأسه لفكرة ملكت عليه منافذ السَّبُل ، فقلب معمله فصار أشبه شيء بحدائق الحيوانات ، وأصبح يتجهّم الناس ويتهكم بزوّاره المتشوفين لما عنده حتى صار غولاً ألمانياً صغير الجرم حقودا ، وعقّم عشرات الحاقن وحده ، وزوّدها بمكروبه الأحدب من زريبته التى على فلاذج أمصاله بعد أن دافه بقليل من الماء ، ثم أطلق هذا المكروب من هذه الحاقن كالسهام فى جلود الخنازير والأرانب والدجاج والجِرذان والقردة والفئران . ثم زمجر فقال : « لا يكفى هذا . فلا بد من إطلاق هذا المكروب فى أنواع من الحيوانات لا يُعرف أن السلّ أصابها أبداً » ، وخرج عن ألمانيا يطوف البلاد لجمع لعمله . ثم عاد لحقن بَشِلاّته ، العزيزة عليه الشديدة على غيره ، فى سلاحف وعصافير وخمس ضفادع وثلاثة من ثعابين الماء

وفى نوبة ذهب فيها عقله شاء أن يتمم تجربته الغريبة بحقن مكروبه فى سمكة مرجان goldfish

ومضت أيام تلو أيام ، وتلاحقت الأسابيع ، وفى كل يوم منها ذهب كوخ إلى (ورشته) فى الصباح واتجه تواً إلى أقفاصه وجراره التى احتوت هذه الحيوانات الخطيرة . أما سمكة المرجان فظلت تفتح فاها وتغلقه وهى تعوم عوم الوادع الآمن فى طاسها الكبير ذى البطن العظيم . أما الضفادع فظلت تنق نقيق من لا يأبه لشيء . وأما ثعابين البحر فكانت على عهدها نشيطة رشيقة فى انزلاقها على الماء ، وأما السلاحف فكانت تخرج رأسها أحياناً من بيتها العَظْم وتطرف بعينها لكوخ كأنها تغمز به وتقول : « إن مكروبك يا سيدى العزيز غذاء صالح لنا ، فهل لديك من مزيد ؟ »

سَلِمت هذه الحيوانات من محاقن كوخ ، ولا عجب ، فهى فى حياتها العادية منيعة على السلّ . أما الخنازير الغينية فأخذت تميل ثم تتساقط على جنوبها تتلهف على الهواء وتستدر الرحمات ثم تموت وقد براها السل بريا شديداً

والآن وقد أتم كوخ آخر حلقة من البرهان الذى أراده ، تهيأ ليعلن للدنيا أن البشلة التى هى سبب السل الحق قد اصطيدت ، قد اكتُشفت ! وما كاد يهُمّ بالاعلان حتى خطر له أن للبرهان ذيلاً لا بد من إتمامه . قال : إن الناس لا بد آخذة هذه البشلاّت استنشاقا مع تراب الهواء ، أو لعلهم آخذوها من المسلولين إذ يسعلون . فليت شعرى أتأخذه الحيوانات السليمة بهذه الطريقة أيضاً ؟ » وماعَنّ أن قلّب وجوه الحيلة لاجراء هذه التجربة الخطرة . وارتأى أن يرش البشلاّت رشاً فى وجوه الحيوانات . وتلك مخاطرة من دونها فتح أبواب السجون لعشرات الألوف من القتلة السفاحين

ولكن كوخ كان مشبعاً بروح الصيد ، فعرف أنه لا بد له من مواجهة الأخطار التى لا مندوحة لصيّاد عنها . فصنع صندوقا كبيراً فى الجنينة ووضع فيه الخنازير الغينية والفئران